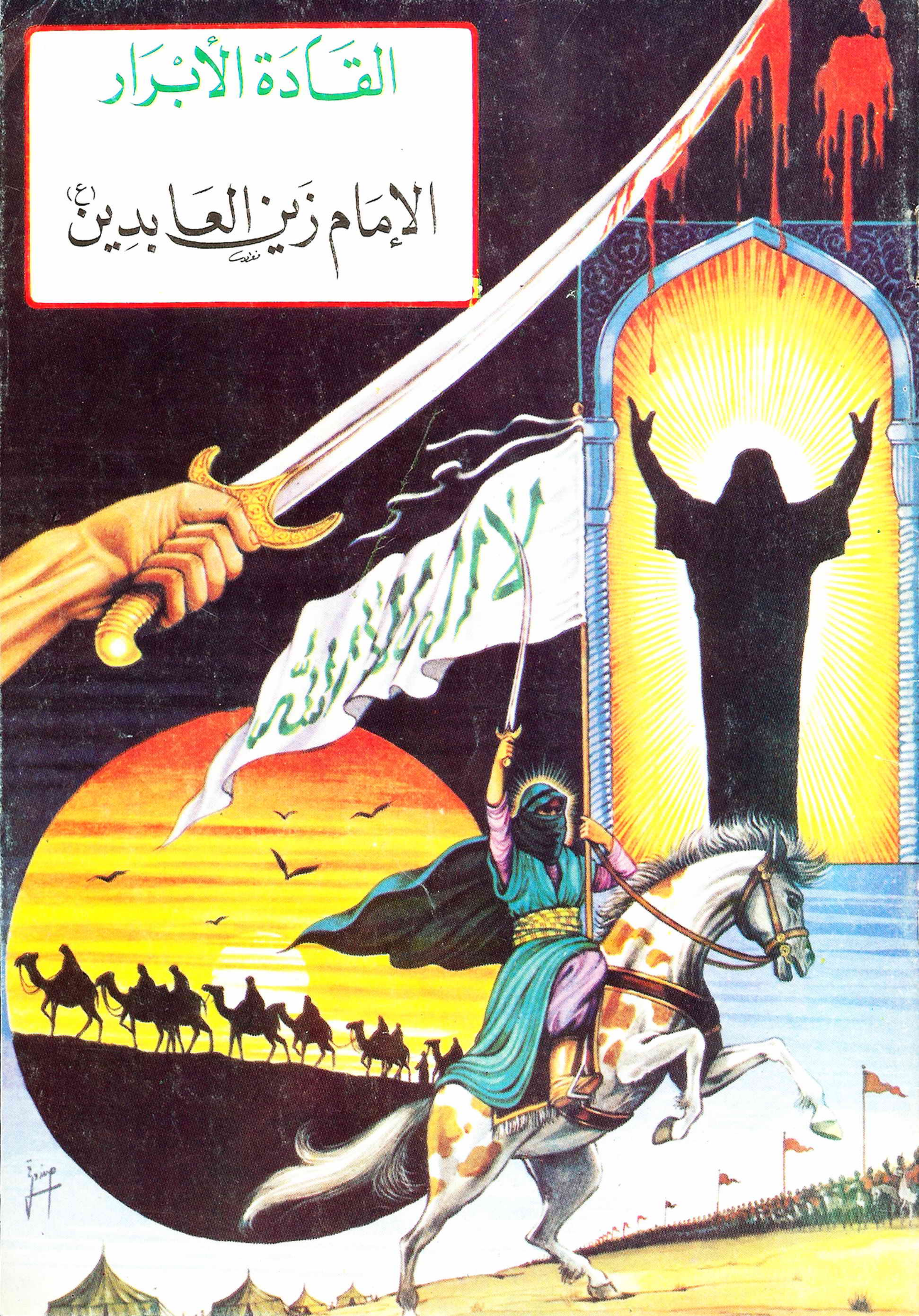

القادة الأبرار
الإمام زين العابدين (ع)



الإمام زين العابدين (ع)

القَادَة الأبْرَار

الإمَام زَين العَابدِين (ع)

الدار الاسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الثانية

١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م



كورنيش المزرعة / بناية الحسن سنتر / الطابق الثاني
هاتف ٨١٦٦٢٧ / ص . ب : ١٤٥٦٨ تلكس ٢٣٢١٢ - غدير
فرع ثاني / حارة حريك مفرق الحلباوي / هاتف ٨٣٥٦٧٠

القادة الأبرار

الإمام زين العابدين (ع)

الاسم : الإمام علي بن الحسين زين العابدين (ع)
اسم الأب : الإمام الحسين (ع)
اسم الأم : شهر بانو
تاريخ الولادة : ١٥ جمادى الأولى سنة ٣٦ للهجرة
محل الولادة : المدينة
تاريخ الاستشهاد : ٢٥ محرم سنة ٩٥ للهجرة
محل الاستشهاد : المدينة
محل الدفن : المدينة (البقيع)

بِاسمِهِ تَعالَى

أُمُّ الإمامِ

يَقولونَ: ولِمَ كانَتْ أمُّه ابْنَةَ أحدِ كبارِ الإيرانيينَ؟!

إنَّ أُمَّ نبيِّ اللهِ إسماعيلَ (ع) كانتْ ابْنةً مِنْ بَلاطِ فِرعَوْنِ مِصرَ؛ وَهذا مِنْ آياتِ اللهِ سُبحانَهُ، إذْ تَلتَقِي أُمَّةٌ بِأُمةٍ، ويلتَقي بَحرٌ بِبحرٍ، فَتَنْبَثِقُ عن هَذا اللِّقاءِ لآلىءُ لا تُقدَّرُ بِثمنٍ. فَزوجةُ فِرعوْنَ رُزِقَتْ نِعمةَ الإيمانِ بعَملِها الصَّالحِ، وابنُ نوحٍ بَعُدَ عنْ بيتِ النُّبوةِ لأنَّ عملَهُ كانَ غيرَ صالحٍ. وابنةُ كِسرى شَرَّفَتْها إرادةُ اللهِ بالإيمانِ، وجَعلتْ مِنْ ابْنةِ قَيْصَرَ أُمًّا لإمامِ الزَّمانِ (عج)، وَلكنَّ المُنافِقينَ لا يُؤمِنونَ. فَالإيمانُ والتَّقوى والعَملُ الصَّالحُ هيَ المعيارَ، وَفيها القُربى إلى اللهِ.

أَخلاقٌ إسلامِيَّةٌ

جيءَ بِأَسرَى فارِسَ بَعدَ فَتحِها مِنْ قِبَلِ المُسلمينَ إلى مَدينةِ الرَّسولِ (ص)، وبعدَ أن قامَ الخَليفةُ

باستعراضِهمْ، أمرَ بأنْ يُوَزَّعوا على أَفرادِ الجيشِ الظَّافرِ، كما جَرَتْ العادةُ أيَّامَ الفتحِ الإسلاميِّ. وَكانتْ لأَوامرِ الخَليفةِ آثارٌ مُختلفةٌ على الفَريقيْنِ؛ ففي حينَ غمرَ الفرحُ وُجوهَ المُهاجرينَ والأَنصارِ، اكْتسَتْ وُجوهُ الأَسرى بالحُزنِ والأَسى.

وقفتْ بَناتُ «يَزْدَجِرْدَ» وأحفادُه يَرقُبونَ في ذُلٍّ وانكِسارٍ عَمليَّةَ التَّوزيعِ، وهُمْ يَتساءَلونَ عمَّا يُخَبِّئُهُ لهُمْ المُستقبلُ المجهولُ، ويَذكُرونَ بِأسىً الآمالَ العَريضَةَ الَّتي كانتْ إلى حينٍ قريبٍ تملأُ قُلوبَهم وجَوانِحَهم. كانُوا يَنعمُونَ بأَسبابِ العِزِّ والجاهِ، والحياةِ الرَّغيدةِ. وهمْ الآنَ يَتساءلونَ عَمَّا أوصلَهم إلى ما هُمْ فيهِ، ومنْ هوَ المَسؤولُ عن هَذا الهوانِ، هلْ يَلومونَ قادَةَ جُيوشِهمْ، أمْ يُوجِّهونَ اللَّومَ إلى آبائِهم؟ هَلْ يا تُرى لوْ أنَّ كبيرَ الفُرسِ «خَسْرو بَروِيز» لم يُمزِّقْ كتابَ رَسولِ اللهِ؛ يومَ كتبَ إليهِ يَدعوهُ إلى الإسلامِ؛ لَتَغيَّرتْ النَّتائجُ؟! لكنَّ تساؤلاتِهمْ بَقيتْ دونَ جَوابٍ، فهمْ لا يَدرونَ أنَّ **﴿ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِما كَفَرُوا، وَهَلْ نُجازِي إلاَّ الكَفُورَ﴾**.

لمْ يَمُرَّ وقتٌ طَويلٌ على وُقوفِ الأَسرى أَمامَ

الخَليفـةِ، حينَ تقدَّمَ مِنهُ شابٌّ وبـادَرهُ بالقَـولِ : لقـد سَمعتُ رسـولَ اللهِ (ص) يُوصِي بـاحْتِرامِ كِبـارِ القَـومِ وأَشْـرافِهمْ؛ ومُـراعـاةِ قَـدرِهِمْ وكَـرامَتِهم؛ وإنَّ هؤلاءِ الأَسرى ذَوُو حَسبٍ رَفيعٍ ، ولا يَحْسُنُ بِنا كَمُسلمينَ أنْ نَـدَعَهُمْ في الأَسرِ، وأنـا أُعلِنُ عَتْقَ نَصيبي منهمْ لِوجـهِ اللهِ وَرَسُولِهِ.

لم يكنْ هذا الشَّابُّ غيرَ عليٍّ بنِ أَبي طالب (ع)، وكانَ لِمُبادرَتِه هذهِ وَقْعٌ حسنٌ لدى الجميعِ ، فلَمْ يلبثْ المُهـاجِرُونَ والأَنصـارُ منَ الحُضـورِ أنْ حَـذَوْا حَـذْوَه، وفَعلُوا فِعْلَه.

عليكَ الصَّلاةُ والسَّـلامُ يا رسـولَ اللهِ، فَهذا درسٌ من دُروسٍ لا تُحصى عَلَّمتَه لأُمَّتكَ في حُسنِ الخُلُقِ، حينَ اكْرمتَ ابنَ حاتمِ الـطَّائيَّ رغمَ إشراكِـه، لأنَّه ابنُ رجلٍ كَريمٍ جَوادٍ، هوَ حاتمُ الطَّائيُّ، الشاعرُ الجاهِليُّ المَعروفُ بِسخائِـه وكَرمِـهِ. وهَذا وصِيُّـك الأَمينُ، يُبيِّنُ لِلنَّاسِ بعدَكَ سِيرتَك الشَّريفةَ.

لقدْ تَركَتْ مُبـادرةُ عليٍّ عليهِ السَّـلامُ أثراً طَيِّبـاً في نُفوسِ الأَسرى الإيرانيِّينَ، فَشَعَرُوا بالأَمانِ والرَّاحةِ بعدَ القَلَقِ، ولم يَعُـدْ المُستقبلُ مَجهـولاً لديْهم بعـدَ الآنَ،



فهمْ في كَنَفِ وحِمَايَةِ الإسلامِ ، بتعاليمِه الطَّيِّبةِ السَّمحةِ، التي لا تُفرِّقُ بينَ عربيٍّ وأعجميٍّ، أو بينَ أبيضَ وأسودَ، فالكُلُّ في الإسلام سِوَاءٌ؛ وهمْ في كَنَفِ وحِمَايَةِ أميرِ المُؤمنينَ. وخيرِ المُسلمينَ بعدَ رَسُولِ اللهِ. وأَحسُّوا بعدَ الاطْمِئْنانِ إليهِ بمَحبتِّه تَغْمُرُ قُلوبَهُمْ.

العِنَايَةُ الإلهيَّةُ

لمْ يمضِ وقتٌ طويلٌ بعدَ هذهِ الواقعةِ، حينَ تمَّ اختيارُ «شَهرَبَانُو» بنتِ «يَزْدَجِرْدَ» زوجةً للإمامِ الحُسينِ الابنِ الأَصغرِ لعليٍّ عَليهِما السَّلامُ[١]، وأنجبتْ للحسينِ ابنَهُ الثَّانِيَ فأسْماهُ عَليًّا الأصْغَرَ وهُوَ المعروفُ بلقَبِهِ «زَيْنِ العابِدينَ» لِكَثْرةِ تَعبُّدِه وتَقواهُ[٢]، وهوَ الإمامُ الرَّابعُ من أهلِ البيتِ (ع).

كانَ زينُ العابِدينَ عليهِ السَّلامُ أشبهَ النَّاسِ بِجدِّهِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليهِ السَّلامُ[٣]. فَقُوَّتُه وشَجاعتُه،

---

(١) روتْ المَصَادرُ التَّاريخيَّةُ قصَّةَ «شَهرَبَانو» عَلَى هَذهِ الصُّورةِ، وهَذا وَاقعٌ يَجهلُهُ بعضُ المؤرِّخينَ.

(٢) بعدَ وِلادةِ آخِرِ طِفلٍ للإمامِ الحسينِ (ع) أسْمُوهْ عليّاً، واشتُهِرَ باسْمِ (عليٍّ الأصغرِ) وصارَ زينُ العَابدينَ (ع) مِنْ يَومِها يُعْرَفُ بـ (عَليٍّ الأوْسطِ).

(٣) في حينِ كانَ عليٌّ الأصغرُ أشبَهَ النَّاسِ بِرسولِ اللهِ (ص).

وصبرُه وتَجلُّدُه، وَتَعَبُّدُه وتَقواهُ، وعِلمُه ومَعْرِفتُهُ أمورٌ تُذَكِّرُ بِجَدِّه عَليهِما السَّلامُ. ويُروى أنَّه حينَ تَوجَّهَ مَعَ أَبيهِ في قافلةِ الشَّهادةِ إلى كَربَلاءَ، كانَ يَطفَحُ تَصميماً وعَزيمةً؛ وبعدَ النُّزولِ في كَربلاءَ، وبَدْءِ الاستعدادِ للقتالِ، تَمَّ تَخصيصُ كُلِّ فَردٍ بِدرعٍ وسَيفٍ، وكانَتْ الدِّرعُ التي خُصِّصَتْ لزينِ العَابدينَ طَويلةً تَصِلُ حتَّى رُكبَتَيْهِ، فَما كانَ منهُ إلاَّ أنْ لَوَى طَرَفَها بِمقدارِ الزِّيادةِ، ثمَّ كَسَرها بيَديْهِ حتَّى غَدتْ مُلائمةً لِطولِهِ، فَلا تُعيقُ حَرَكَتَهُ. فارْتفعَ صَدى الاسْتِحسانِ منَ الحاضِرينَ لِمَا رأَوْهُ من شِدَّتِهِ وقُوَّته. لكنَّهُ لم يُقَدَّرْ لهُ استِخدامُ قُوَّته هذهِ يومَ النِّزالِ، فقد ظَهرتْ عليْهِ في تلكَ اللَّيلةِ آثارُ حُمَّى شَديدةٍ لمْ تَلْبثْ أنْ طرحَتْهُ في الفِراشِ.

وهكَذا شَاءَتْ العِنايةُ الإلهيَّةُ أن يكونَ عليٌّ الصَّغيرُ طريحَ فِراشِ المَرضِ، في قلبِ المعركةِ، ولكنَّه بَعيدٌ عَنْها، الأمرُ الَّذي جَنَّبهُ القَتلَ، وحَفِظَ نسلَ رَسُولِ اللهِ منَ الانْقِراضِ. رَغمَ حِرصِ طُغاةِ يَزيدَ على قَتْلِ أَبناءِ الحُسينِ جَميعِهِم، لكنَّ إرادةَ اللهِ سُبحانَه، النَّافِذَةَ في كُلِّ أمرٍ، والقادِرةَ فوقَ كلِّ قُدرةٍ، رَعتْهُ وحَفِظتْهُ خِلالَ المَعرَكَةِ وبَعدَها، حينَ تعرَّضَ للقتلِ أكثرَ منْ مرَّةٍ.

وانْجلتْ المَعركةُ عن فَوزِ أحبابِ اللهِ أُباةِ الضَّيْمِ بشرفِ الشَّهادةِ، بعدَ أنْ سَطَّرُوا أروَعَ مَلحمةٍ في التَّاريخِ ، وَبَاءَ أعداءُ اللهِ بالخُسرانِ المُبينِ.

وسِيقَ من تَبقَّى من أهلِ بَيتِ النُّبوَّةِ أسرى مكبَّلينَ بالأغلالِ إلى الكوفَةِ، وكلُّهمْ منَ النِّساءِ والأطْفالِ ، غيرَ زينِ العابدينَ (ع).

الإمامُ يُواجِهُ ابنَ زِياد

وَفي الكوفَةِ، في مجلسِ ابنِ زيادٍ، وقفَ الطَّاغيةُ يَشمَتُ ويَتشَفَّى ، وحولَهُ زَبانيتُه وجَلاوِزَتُه، ولمَّا انْتَهى من نَفْثِ سُمومِ حِقدِهِ على النِّساءِ والأَطفالِ دونَ أن يَجرُؤَ أحدٌ على التَّفوُّهِ بِحرْفٍ، خَوفاً من بطشِه وقسْوَتِه، الْتفتَ إلى الإمامِ وقالَ لهُ: منْ أنتَ؟ قالَ: أنا عليُّ بنُ الحسينِ، فردَّ عليه بقولِه: أَلَيسَ قدْ قَتلَ اللهُ عليَّ بنَ الحُسينِ؟ فأجابَه الإمامُ: كانَ لي أخٌ يُسمَّى عَليّاً قتلَهُ النَّاسُ، فقالَ ابنُ زِيادٍ: بلْ اللهُ قَتلَهُ، فقالَ الإمامُ: اللهُ يَتوفَّى الأنْفُسَ حينَ مَوتِها. فَغضِبَ ابنُ زيادٍ وقالَ: أَبِكَ جُرأةٌ على رَدِّ جَوابي؟ وأمرَ جَلاوِزَتَهُ بِقتلِه. فَتعلَّقَتْ بِهِ عمَّتُه زينبُ واعتَنَقَتْهُ

وقالتْ: يَا بنَ زيادٍ، حَسبُكَ منْ دِمَائِنا ما سَفكْتَ. واللهِ لا أُفارِقُه، فإنْ أَردتَ قَتلَهُ فاقتُلني معَهُ. فَرَقَّ لها وتركَـهُ كَما يُروى.

في مُواجَهةِ الطّاغِيةِ يَزيدَ

عندما سِيقَ آلُ الرَّسولِ إلى الشَّامِ قيلَ للنَّاسِ إنَّ هؤلاءِ الأَسرى همْ منَ العُصاةِ الَّذينَ خرجُوا لإثارة الفِتَنِ، فاقْتَضى الأمرُ تأديبَهمْ.

دخلتْ قافلةُ الأسْرى دمشقَ، وكانَ يزيدُ قد أمرَ بتزيينِ مجلِسه، وجَمعَ حولَهُ الكِبارَ والأَعيانَ، دونَ أنْ ينسى ضَمَّ أمثالِهِ منْ رفاقِ السّوءِ. لِيُشارِكوهُ (نَصرَهُ) وأفراحَهُ. كما بَدتْ الشَّامُ بِأبهى مَظاهِرِ الزِّينةِ والفَرحِ.

أُدخِلَ الأسرى إلى مَجلسِ يَزيدَ، وحينَما وُضِعَتْ الرُّؤوسُ الشَّريفَةُ بينَ يَديهِ أنشدَ:

نُفَلِّقُ هَاماً من رجالٍ أَعِزَّةٍ   عَلينَا وقَدْ كانُوا أعَقَّ وأَظلَما

ثم التفتَ إلي زينِ العابِدينَ وقالَ: أبُوكَ قطعَ رَحِمي وجَهِلَ حَقّي ونازَعَنِي سُلطاني، فَصَنَعَ به اللهُ ما قَدْ رأيْتَ. فقالَ الإمامُ: «﴿**مَا أَصابَ مِنْ مُصِيبَةٍ في الأرضِ وَلاَ في أَنْفُسِكُمْ إلاَّ في كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا، إنَّ**

ذَلِكَ عَلَى اللهِ يَسِيرٌ، لِكَيْ لاَ تَأْسَوْا عَلى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تفرَحُوا بِما آتَاكُمْ، واللهُ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾.

فأمرَ يزيدُ أحَدَ أنصارِهِ أنْ يَصعَدَ المِنْبَر ويَنالَ من عَليٍّ والحسنِ والحُسينِ عَليهِمْ السَّلامُ، فَفعلَ ونالَ منهمْ، كَما أثْنى على مُعاويةَ، فَقالَ له الإِمامُ: ويْلكَ أيُّها المُتكلِّمُ، لقدْ اشْتَريْتَ مَرضاةَ المَخلوقِ بسَخَطِ الخَالقِ، فَتَبوَّأْ مَقعدَكَ منَ النَّارِ. ثُمَّ التفتَ إلى الجُلوسِ وقالَ:

«أيُّها النَّاسُ، مَنْ عرفَني فَقدْ عَرفَني، ومنْ لمْ يَعرِفْني أنْبَأتُهُ بِحَسَبِي ونَسَبِي.. أنا ابنُ مُحمَّدٍ المُصطفى، أنَا ابنُ عليٍّ المُرتَضى.. أنا أنا..». ولم يَزلْ يقولُ أَنا، ويُعَدِّدُ على الحُضورِ مآثِرَ جَدَّيْهِ رَسولِ اللهِ وأَميرِ المُؤمنينَ، وأَبيهِ أَبي عبدِ اللهِ الحُسينِ، ويَذكُرُ ما جَرى في طَفِّ كَربلاءَ حتَّى ضَجَّ النَّاسُ بالبُكاءِ. وخَشِيَ يَزيدُ أنْ يَنْتَقِضَ أهلُ الشَّامِ عليهِ فأمرَ المُؤذِّنَ أن يُؤَذِّنَ لِيقطَعَ حَديثَهُ. فلمَّا قالَ المُؤَذِّنُ: اللهُ اكبرُ قالَ (ع): لا شيْءَ أكبرُ مِنَ اللهِ، ولمَّا قالَ: أشهدُ أنْ لا إِلهَ إلاَّ اللهُ قالَ الإمامُ (ع): شَهِدَ بِها لَحمي ودَمي وبَشَري

وشَعَري، ولمَّا قالَ: أشهدُ أنَّ مُحمَّداً رسولُ اللهِ، الْتفتَ الإمامُ إلى يَزيدَ وقالَ: مُحمدٌ هذا جَدِّي أمْ جَدُّكَ؟ فإنْ زَعمْتَ أنه جَدُّكَ فقد كَذَبْتَ وكَفَرْتَ. وإنْ زَعَمْتَ أنَّه جَدِّي فَلِمَ قَتَلْتَ عِتْرَتَهُ؟!

أُسقِطَ في يدِ يزيدَ، وَرَأى أنَّ خَيرَ ما يَفعَلُه هُوَ التَّعجيلُ بتَرحِيلِ الأَسرى إلى المَدينةِ، تَداركاً لِغَضْبَةِ أهلِ الشَّامِ.

فِي المَدِينَةِ

وَسِيقتْ بَقيَّةُ الحُسينِ نحوَ المدينةِ، لكنَّ القافِلةَ انْعطَفَتْ في طريقِها نحوَ كَربلاءَ، ونزَلَ زينُ العابدينَ وزَينبُ الكُبرى عليهِما السَّلامُ مَرَّةً ثانيةً في أرضِ الكَرْبِ والبَلاءِ، ونَثَرا على تُربَةِ الحُسينِ دُموعَ الأَلَمِ وأَنَّاتِ التَّوجُّعِ.

منذُ ذلكَ اليومِ، وعَلى مَدَى الأَزمانِ، ومَا بقيتْ الأَرضُ والنَّاسُ، سَتبقَى صُروحُ العِبَادَةِ مُرتَفِعةً بِجَلالٍ وشُموخٍ في هذا المكانِ، ترِوي للنَّاسِ قِصَّةَ أكرَمِ شَهادةٍ، وتحكي لهمْ قِصَّةَ أروعِ ثَورةٍ على الظُّلمِ، ما بَقِيَتْ العُصُور وكَرَّتْ الدُّهورُ.

تَـابَعَتْ القـافِلةُ مَسيـرَهـا نحـو المَـدينـةِ، مَـدينـةِ الرَّسولِ، فَخـرجَتْ جُموعُ أَهلِهـا، كبيرِهمْ وصَغِيـرِهِمْ لاسْتقبالِهم، يذْرِفُونَ دُموعَ الحُزنِ لِما حَـلَّ بأهـلِ بيتِ رَسُـولِهم، ويَسْكُبـونَ دُمـوعَ النَّـدمِ لِسـوءِ تَفْـريـطِهم وتَقصيـرِهم في حَقِّ العِترةِ الـطَّاهِرةِ. وازْدَحمـوا حـولَ الإمامِ يُعَزُّونَهُ بأبيهِ. فوقَفَ بينَهم وقالَ: الحمدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ، الرَّحمنِ الـرَّحيمِ مالِـكِ يَومِ الـدِّين، بَارىءِ الخَلقِ أجْمعينَ.. أَيُّهـا القَومُ، إنَّ اللهَ.. ولَـهُ الحَمدُ ـ ابْتَـلانَا بِمصـائِبَ جَليلةٍ، وثُلمةٍ في الإِسـلامِ عَظيمَـةٍ؛ قُتِلَ أَبُو عبدِ اللهِ وعِترتُـهُ، وَسُبِيَ نِساؤُه وصِبْيَتُـهُ، ودارُوا برأسِه في البُلدانِ منْ فوقِ عامِلِ السِّنانِ، وَهذهِ الرَّزِيَّـةُ التي لا مِثْلَهـا رَزِيَّةٌ.. أَيُّهـا النَّاسُ، أصبَحْنَـا مَطرودينَ مُشَـرَّدينَ.. منْ غيـرِ جُـرمٍ اجْتَـرَمْنَـاهُ، ولا مكـرُوهٍ ارْتكَبْناهُ، ولا ثُلمةٍ في الإِسـلامِ ثَلمنَاهـا.. واللهِ لوْ أنَّ النبيَّ (ص) تقدَّمَ إليْهِمْ في قتالِنا، كما تقـدَّم إليْهم في الوِصايةِ بِنا، لمـا زَادُوا على ما فَعلوا بِنـا؛ فإِنَّـا للهِ وإنَّا إليـهِ راجِعونَ.. فعنـدَ اللهِ نَحتسِبُ ما أصَـابَنا ومـا بلغَ مِنَّا، إنَّه عزيزٌ ذُو انتِقامٍ.

فـأثـارَ خِـطابُـه الأَسى والحُـزنَ في نُفـوسِ تلكَ

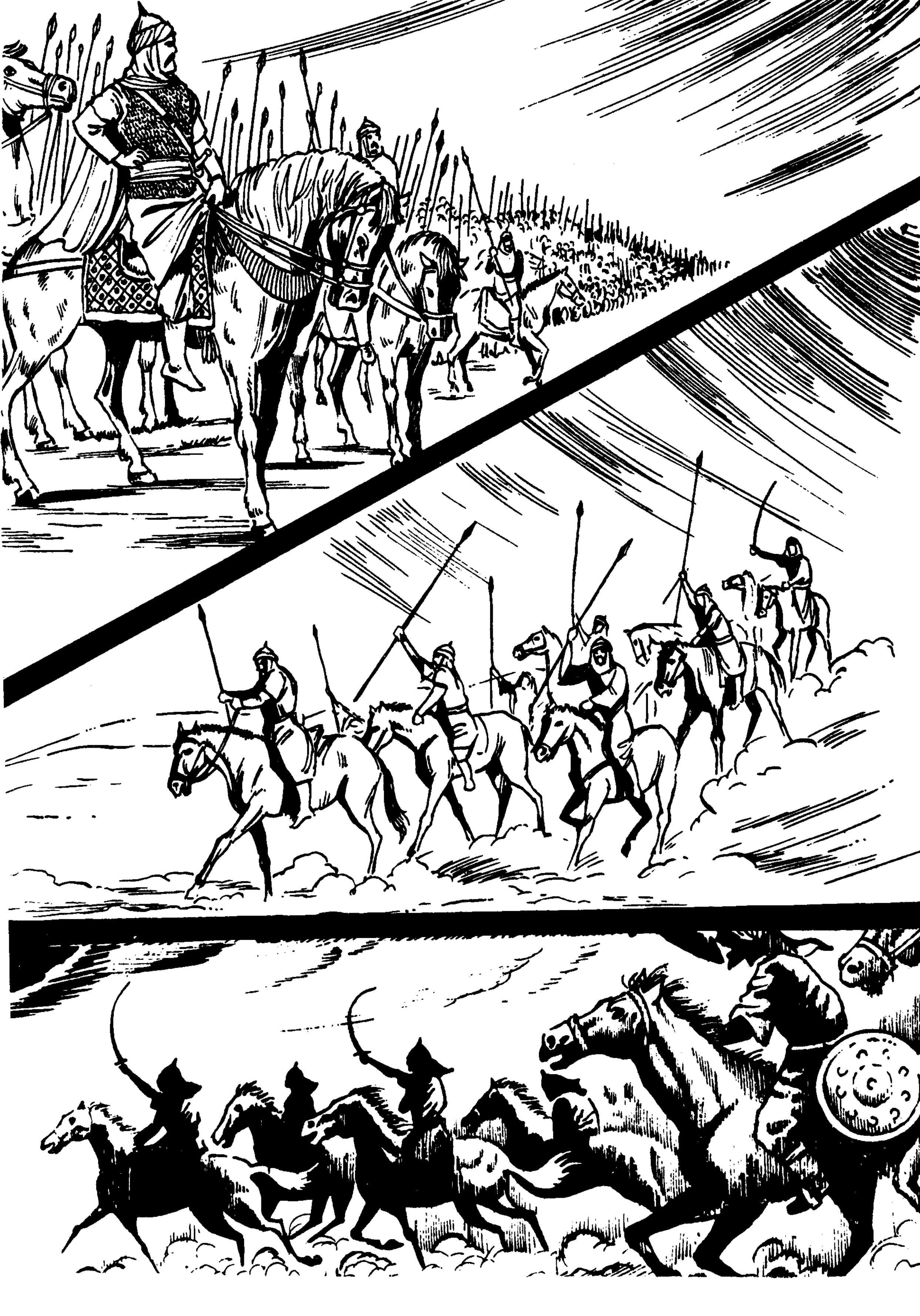

يا من لا يخفى عليه أنباء المتظلمين
يا من قربت نصرته من المظلومين
اللهم إنا نعوذ بك من نزغات الشيطان
الحمد لله رضى بحكم الله

الجَماهيرِ، وامتلأَ المكانُ بالبكاءِ والعَويلِ، وأحَسَّ المُسلمونَ بمَرارةِ تلكَ الصَّدمَةِ العَنيفةِ، الَّتي أصابَتْ الإسلامَ في الصَّميمِ، وبدأَتْ تعتَمِلُ في أوْصالِهِمْ روحُ الثَّورةِ ونُذُرُ الانْتِقامِ.

أمَّا العقيلةُ زينبُ عَليْها السَّلامُ، فكانَتْ تُردِّدُ تلكَ المأساةَ الرَّهيبةَ، فَتشحَنُ النُّفوسَ بالحِقدِ على الظَّالمينَ، وتُلهِبُ فيها نارَ الثَّورةِ على يَزيدَ وحُكومَتِه الجائِرةِ.

اندِلاعُ الثَّوراتِ

نَعَمْ، فقدْ كانَتْ فاجِعةُ كَربلاءَ صَدمةً عَنيفةً، أيقظَتْ الغافِلينَ منْ غَفْلتِهِم وألَهبَتْ المَشاعِرَ الخامِدَةَ وفَجَّرَتْ ثَورةً تِلوَ أُخرى في وُجوهِ الطُّغاةِ؛ فَلَمْ تمضِ سَنةٌ على واقِعةِ الطَّفِ، حتَّى انْدلَعَتْ الثَّورةُ في مَدينةِ الرَّسُولِ، وانْدفعَ النَّاسُ يُهاجمونَ الأُمويِّينَ وأعوانَهم، بعدَ أنْ خَلعُوا بَيعَةَ يَزيدَ وطَرَدوا عامِلَهُ عَلَيها، ولما بلَغَ يَزيدَ ما فَعلُوه أرسلَ إليهم جَيشاً بقيادَةِ الجزَّارِ مُسلمِ بنِ عُقبَةَ. فأَعمَلَ فيهِمْ السَّيفَ وقتلَ منهمْ خَلقاً كَثيراً، فِي مَوْقِعةٍ شَهيرةٍ تُدعى وَقْعةَ الحَرَّةِ، ثُمَّ أباحَ



مَدينةَ الرَّسولِ لجُنودِهِ ثَلاثةَ أيامٍ، فَنَهبُوها واسْتَباحُوا الحُرُمَاتِ وَهَتكُوا الأعراضَ، حتَّى نزلَ أهلُ المدينةِ على أمره. وبايَعُوا على أن يَكُونُوا عَبيداً لِيزيدَ، وهَكذا فقدْ دَفَعُوا ثمنَ تقصيرِهم وتَخاذُلِهم عنْ الجِهاد معَ الحُسينِ حينَ دَعاهُمْ إليهِ.

كما انْدلعَتْ ثورةٌ في الحجازِ يَقودُها عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ. هذا الإنسانُ الميَّالُ إلى العُلُوِّ في الأَرضِ، والَّذي بقيَ سِنينَ طَويلةً يَتَحيَّنُ الفُرَصَ للقَفْزِ إلى كُرسيِّ الخِلافَةِ، فَواتَتْهُ الفُرصةُ الآنَ. فقامَ يَرفَعُ رايةَ أهلِ البيتِ! ويُطالِبُ بدَمِ الحُسينِ!! زُوراً وكَذِباً يُخفي وراءَهُ أطماعَهُ. لأنَّ عداوتَه لأهلِ البيتِ لا تَحتاجُ إلى بَيانٍ.

استَمدَّ عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيْرِ جُرأَتَهُ من الثَّوراتِ المُتعَدِّدةِ، الَّتي أَعقبَتْ الواحدةُ مِنْها الأُخرى في وجهِ حُكمِ يَزيدَ، وجَهَّزَ جَيشاً واجَهَ بِهِ قُوَّاتِ السُّلْطَةِ في معرَكَةٍ طاحِنةٍ، راحَ ضَحيَّتَها عددٌ كبيرٌ منَ القَتلى منَ الطَّرفَيْنِ، ودارَتْ بِالقربِ من مَكَّةَ، الَّتي قَذَفَها جُندُ يَزيدَ بالمِنْجَنيقِ، وقبلَ أن تُحسَمَ المعركَةُ لِصَالِح أحدِ الطَّرفينِ المُتَقاتِلَيْنِ، وردَ نَبأُ هَلاكِ الطَّاغِيةِ يَزيدَ، وكانَ

لِهذَا النَّبأ أثَرُه السَّريعُ، حيثُ انسحبَ جَيشُ الحُكمِ، وضَمِنَ ابنُ الزُّبيرِ السَّلامةَ، ولكنْ إلى حينٍ.. حيثُ لاقَى حتفَهُ فيما بَعْدُ على يَدِ الحَجَّاجِ السَّفَّاحِ، في عَهدِ عبدِ المَلِكِ بنِ مَروانَ.

ومِنَ الثَّوراتِ الَّتي اشْتعلتْ بِتأثيرِ واقعةِ كَربلاءَ، ثَورةُ التَّوَّابينَ في الكُوفةِ سنةَ ٦٥ للهجرةِ. وانْتشرَتْ إلى البَصرةِ والمَدائنِ، وسُمِّيَتْ بهذا الاسْمِ نِسبةً إلى جَماعةٍ منْ أهلِ الكُوفةِ، نَدِمُوا نَدَماً شَديداً عَلى تَقَاعُسِهِمْ عن نُصْرَةِ سَيِّدِ الشُّهداءِ، بعدَ أنْ دَعَوْه للقُدومِ إليهمْ، وقدْ أَعلَنُوا تَوْبَتَهم، وكانَتْ تَوبةً نَصوحاً، ولِذا عُرِفُوا بِالتَّوَّابينَ. وكانَ يَقودُهُمْ سُليمانُ بنُ صُرَدٍ الخُزاعِيُّ. ويُروى أنَّ تَعدادَهم بلغ سِتَّةَ عَشرَ أَلفاً.

خرجَ التَّوابُونَ من الكُوفةِ إلى قَبرِ الحُسينِ (ع)، وقد لَبِسُوا أكفانَهُم، وأَخذُوا على أَنفُسِهِم عَهداً بألَّا يَعُودوا إلى بُيوتِهم حتَّى يَنتَقِموا لِمَقْتَلِ الحُسينِ أوْ يُقْتَلوا تَكفِيراً عن تَقصِيرِهم. ورَدَّدَتْ جَنَباتُ الكُوفَةِ صَيحاتِهِمْ «يا لَثاراتِ الحُسيْنِ» وتَردَّدتْ أَصداؤُها في كُلِّ مكانٍ. وحينَ بَلغُوا القبرَ الشَّريفَ صَاحُوا باكينَ

نادِمينَ وأقامُوا عندَهُ يَوماً وليلةً، ثم غَادرُوا القبرَ مُتَّجهينَ إلى الشَّام، وَهُمْ يتلُون الآيَةَ الكَريمةَ: ﴿فَتُوبُوا إلى بَارِئكُمْ فَاقْتُلُوا أنْفُسَكُمْ، ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ عِنْدَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ، إنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾. والْتقَوْا في طَريقِهِم بِجيشِ السُّلطَةِ يَقودُهُ الطَّاغِيةُ عُبَيْدُ اللهِ بنُ زِيادٍ، وانْدفَعوا يُقاتِلونَ بِبَسالةٍ فَائِقةٍ، وكَادُوا يَقْضُونَ على ابنِ زِيادٍ لولا المَدَدُ الَّذي وَصَلَ إليْهِ، لكنَّهم ظَلُّوا يُقاتِلونَ أيَّاماً حتَّى أُبيدوا عنْ آخِرِهِمْ.

وهَكَذا مَضى التَّوَّابون شُهداءَ النَّدَمِ والتَّوبةِ، وَتَركُوا الندمَ وراءَهُمْ مِيرَاثاً يَصْلي بنارِهِ المُتَخاذِلينَ جِيلاً بعدَ جِيل.

ثَورةُ المُخْتَارِ

زادَ مَوتُ يَزيدَ منْ تَفَجُّرِ الثَّوراتِ ضِدَّ الحُكمِ الأُمَويِّ، فاشْتعلَتْ ثَورةُ المُختارِ بنِ أبي عُبَيْد الثَّقفيِّ في الكُوفةِ أيْضاً سنةَ ٦٦ لِلهجرةِ.

خَرجَ المُختارُ في الكُوفةِ، ودَعا النَّاسَ للطَّلَب بِثأرِ الحُسينِ (ع)، فَمالَ إليهِ النَّاسُ، واسْتَولى على بَيْتِ المالِ فوزَّعَ ما فيهِ منَ الأموالِ على منْ انْضَمَّ إلى

حَركتِه، فاسْتَتَبَّ لهُ الأمرُ في الكُوفةِ، وحاوَلَ تقويةَ مَركزِهِ فكتَبَ إلى الإمامِ زينِ العابدينَ (ع) يَدعوهُ إلى تأييدِه ويعرِضُ عليهِ البَيعةَ، ويُروى أنَّ الإمامَ تَجاهلَ دَعوتَهُ، لأنَّ تَحرُّكَ المُختارِ لمْ يكُن خالِصاً منَ المصَالحِ الشَّخصيَّةِ، ولمَّا يَئِسَ المُختارُ منَ الإمامِ كتبَ إلى عَمِّهِ محمَّدِ بنِ الحنَفيَّةِ[1]، وأشاعَ بينَ النَّاسِ كَذِباً أنَّ محمَّدَ بنَ الحَنَفِيَّةِ هُوَ قائِمُ آلِ مُحمَّدٍ، وأنَّهُ يَدعُو إليهِ، فَخُدِعَ بَعضُ النَّاسِ بهذهِ الأكاذيبِ. ومنْ هُنا ظهرَتْ الفِرقَةُ الكَيْسَانِيَّةُ إلى الوُجودِ.

إنَّهْ عَزيزٌ ذو انْتِقامٍ

وَعلى أيٍّ حالٍ، فلقدْ تَتَبَّعَ المُختارُ قَتَلَةَ الحُسينِ (ع)، والمُشتَرِكينَ في حَربِه، وعلى الأخَصِّ قادَتَهُمْ كعُمَرَ بنِ سَعْدٍ وَغيرِه، فلمْ يَترُكْ أَحداً مِنهم إلاَّ وَنكَّلَ بِهِ، وكانَ يَصْنَعُ بِهِمْ مِثلَ ما صَنَعُوه مَعَ الحُسينِ وأَصحابِهِ، وكانَ المُختارُ بِحقٍّ عَدُوًّا عَنيداً لِلأُمَويِّينَ. وقَد ظَفِرَ أخيراً بِعُبَيدِ اللهِ بنِ زيادٍ فقطَعَ رأسَهُ وأرسَلَهُ مع

---

(١) مُحمّد بنُ الحنفيَّةِ هو أحدُ أبناءِ الإمام عليٍّ (ع)، وهوَ يُعرَفُ باسْمِ أُمِّهِ (الحَنفيَّةِ).



رأسِ عُمرَ بنِ سعدٍ، بالإضافة إلى هدايا كثيرةً بينَها جاريةٌ إلى الإمامِ زينِ العابدينَ في المدينةِ.

ما إنْ رأى الإمامُ الرَّأسَيْنِ حتَّى خرَّ ساجِداً شُكراً للهِ تَعالى وقالَ: الحمدُ للهِ الَّذي أدْرَكَ لي ثَأْري منْ أَعدائي، وجَزى اللهُ المُختارَ خيراً. وقَبِلَ الجارِيةَ والهَدايا، وقد أَنجبَتْ لهُ تلكَ الجارِيةُ وَلداً هوَ «زَيْدُ بنُ عَليٍّ» الثَّائِرُ الشَّهيدُ. وكانَ زَيدُ مُجاهِداً صَادِقاً، قامَ لِصَوْنِ دِينِ اللهِ من التَّحريفِ. فَحملَ رِسَالةَ آبائِهِ، وناضَلَ وجاهَد، حتَّى قُتِلَ على مِنهَاجِ المُجاهدينَ في سبيلِ اللهِ.

أَخلاقُهُ مِنْ أَخلاقِ جَدَّيْهِ مُحَمَّدٍ وَعَلِيٍّ

كانَ الإمامُ زينُ العابدينَ عليه السَّلامُ عالِماً فقيهاً، ذا اطِّلاعٍ واسعٍ على أُمورِ الدِّينِ وعُلومِ القُرآنِ الكَريمِ، وكانَ جَواداً سَخِيّاً كما كانَ وَرِعاً تَقِيّاً، ذَا مَهابَةٍ وَوقارٍ. ويُروى أنَّه غادَرَ يَوماً مجلِساً لعُمَرَ بنِ عبدِ العزيزِ. فقالَ عُمرُ لمنْ حولَهُ: منْ أَشْرفُ النَّاسِ؟ أجابَهُ بعضُ المُتزَلِّفينَ: أنتمْ يا أميرَ المُؤمِنينَ، فقالَ: كَلاَّ، أَشرفُ النَّاسِ هَذا القائِمُ منْ عِندي آنِفاً. وهَذا

يَدُلُّ على ما كانَ يَتمتَّع بِهِ عليهِ السَّلامُ من مَكانَـةٍ رَفيعَةٍ واحْتـرامٍ كَبيرٍ. ويُـروى عن سَماحَتِـه وسُمُوِّ خُلُقِـهِ مـا جَرى لهُ مَعَ مَروانَ بنِ الحكَمِ أَلَدِّ أعداءِ أهـلِ البيتِ، وهـوَ منْ أشارَ على الـوَليدِ عـاملِ يَـزيدَ علَى المَـدينـةِ بقتـلِ الحُسينِ (ع)، وهـوَ منْ شَمِتَ بِمـقتلِه عليـهِ السَّـلامُ، وهـوَ منْ انْضَمَّ إلى النَّـاكِثيـنَ في صِـفِّيـنَ والبَصـرةِ، ومعَ ذلـكَ فمروانُ هَـذا لم يَجِـدْ منْ يَحمي عِيـالَهُ ونِسـاءَهُ غيرَ زينِ العـابدينَ (ع)، وذلـكَ يومَ ثـارَ أهـلُ المَدينـةِ ضِدَّ الأمَـويِّينَ فَضَمَّهمْ عليهِ السَّـلامُ إلى عِيالِه، وعامَلَهمْ بما كانَ يُعامـلُ بِهِ أهلَهُ وعيـالَه. وليسَ هـذا غَريبـاً على منْ اجْتَبـاهُمْ اللهُ وخَصَّهمْ بـالكَـرامَـةِ والعِصْمَةِ. وإنَّ أخلاقَ الإمـامِ زينِ العابـدينَ منْ أخلاقِ جَـدَّيـهِ محمـدٍ رسـولِ اللهِ وعليٍّ أميـرِ المُؤمنينَ عليهِمْ أفضَلُ الصَّلاةِ والسَّلامِ. أَلَمْ يَعْفُ رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليـهِ وآلـهِ عن رُؤوسِ الشِّـركِ والنِّفـاقِ بعـد أنْ ظَفِـرَ بِهِمْ، وقالَ لَهمْ قَوْلَتَهُ الشَّهيرَةَ: اذْهَبُـوا فأنْتُمْ الـطُّلقاءُ؟ أَلم يَعْفُ أميـرُ المؤمنينَ عن مـروانَ نفسِـهِ، وقـدْ قـادَ الجُيوشَ لحربِه في البَصرةِ؟ ألمْ يعفُ عنهُ بعدَ أنْ وقـعَ أسيـراً في قَبضَتِه، وتـركَهُ مـع عِلْمِه بـأنَّـهُ سَيَنْضَمُّ إلى مُعـاويـةَ ويُحـاربُـهُ في صِفِّينَ؟ وَقَـدْ فَعَـلَ؟! إلاَّ إنَّهـا

السَّماحةُ الهاشِميَّةُ.

أمَّا عن سَخَائِهِ وجُودِهِ فيُروى أنَّ بُيوتاً في المدينةِ كانتْ تَعيشُ على صَدَقاتِ الإمامِ (ع) ولا تَدري من أينَ تَعيشُ. فلمَّا ماتَ عليهِ السَّلامُ فَقَدُوا ما كانَ يَأتِيهِمْ، فعَلِمُوا بِأنَّهُ هوَ الَّذي كانَ يُعيلُهُمْ وقالُوا: ما فَقَدْنَا صَدقَةَ السِّرِّ حتَّى فَقَدْنا عليَّ بنَ الحُسينِ زينَ العابِدينَ.

الصحيفة السجادية ورسالة الحقوق

وأمَّا بِحارُ عِلمِه عليهِ السَّلامُ فَعَميقةٌ بِلا قَرارٍ، وحَيْثُ لم يَتَسنَّ لَهُ أنْ يَرتَقيَ المَنابرَ ويَقِفَ في المُجتمعاتِ لإرشادِ النَّاسِ إلى ما يُصْلِحُهُمْ من أخلاقِ الإسلامِ وآدابِهِ، فَقدْ اسْتخدمَ أُسلوبَ الوَعظِ والإرشادِ في حِوارٍ ومُناجاةٍ مع اللهِ سُبحانَهُ، يَسْتعطِفُه ويُمجِّدُه في سِتِّينَ دُعاءً عُرِفَتْ «بالصَّحيفَةِ السَّجَّادِيَّةِ»، رَوَاها عنهُ وَلداهُ الإمامُ الباقرُ (ع) وزيدُ بنُ عليٍّ وغيرُهُما من الثِّقاتِ، ولا تَزالُ إلى يومِنا هَذا يَتَداولُها المُؤمِنونَ ويُواظبونَ على قِراءَتِها. وهِيَ أدعيةٌ شامِلةٌ حافِلةٌ بآدابِ الإسلامِ وأخلاقِهِ، وبِكلِّ ما يُقَرِّبُ المؤمِنَ مِن اللهِ سُبحانَه. كما وضَعَ عليهِ السَّلامُ رِسالةً لأصحابِهِ وشِيعتهِ تَتَضَمَّنُ ما يجبُ عليهِم من واجِباتٍ وما يَجبُ

لهمْ منْ حُقـوقٍ، وتَشمَـلُ خَمسينَ مـادَّةً في هـذا الموضـوعِ ، تتنـاولُ الأخَ والجـارَ والصَّـديقَ والـزَّوجَ والحاكِمَ وغيرَهُم وقد عُرِفَتْ «برسالةِ الحُقوقِ»، رَواهـا عنـهُ العَديـدُ من الثِّقاتِ الأَسْنـادِ. إلى مـا هُنـالِـكَ من كَلمـاتٍ قِصـارٍ وَوَصَـايَـا وأحـاديثَ رُوِيَتْ عنـهُ عليـهِ السَّلامُ.

لا عَجبَ في كُـلٍّ ما تقـدَّم، فَزَينُ العـابدينَ عليـهِ السَّلام، هو رابعُ الأئِمةِ الأطهارِ المُجْتَبَينَ، ورَثَةِ العلمِ عن رسـولِ ربِّ العـالَمينَ، مَشـاعِـلِ نـورٍ تُضيءُ للأجيالِ طـريقَها إلى الخيـرِ والصَّلاحِ ، فـأَحْرِ بنـا أنْ ننهـجَ إلى الجِهادِ، ونَسلُكَ مَسـالِكَهم في التَّعامُـلِ مع طَواغيتِ العَصرِ. فقدْ جاهدَ عليهِ السَّلامُ بيدِه مـع جدِّه وأبيهِ، وجاهَدَ بلسانـه عندمـا استَدْعتْ الـظُّروفُ ذلكَ، وصَـدَقَ رسـولُ اللهِ إذ أكَّـدَ أنَّ عِترَتَـهُ هيَ مَعَ القُـرآنِ والقُـرآنُ معَهـا، وأنَّهمـا لن يَفتَـرِقـا حتَّى يَـرِدا عليـه الحَوضَ.

* * *